كنّى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن ، وأصاب ، لان من شان البكاء ان يكون كناية عنه كقولهم : « أبكاني واضحكني » أي : اساءني وسرني، كما قال :

أبكاني الدهر وبا ربما أضحكني الدهر بما يرضي

ثم طرد ذلك في نقيضه فأراد ان يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر، واخطأ لان الجمود خلو العين من البكاء في حال ارادة البكاء منها فلا يكون كناية عن المسرّة وانما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر :

ألا أنّ عينا لم تجُدْ يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمودُ

وضبط القزويني الكلام الخالي من التقييد وقال عنه : « ما كان الانتقال من معناه الاول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهراً حتى يخيّل إلى السامع أنه فهمه من حاقّ اللفظ» (١).

وأضاف إلى ذلك خلوص الكلام من كثرة التكرار، كقول المتنبي :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

وخلوه من تتابع الاضافات، كقول ابن بابك :

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي فانت بمرأى من سعاد ومسمع

وكان الصاحب بن عباد قد أشار إليه بقوله : «اياك والاضافات المتداخلة فإنها لا تحسن » ويرى القزويني ان هذا الشرط لا يؤخذ به دائما ، لان ذلك ان افضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه وإلاّ فلا تخل بالفصاحة، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : «الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم». وهذا رأي عبد القاهر الذي قال : «ولكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف» .

ومما حسن فيه قول ابن المعتز :

---

(١) الايضاح ص٦.

وظلّت تدير الراح أيدي جآذر عتاق دنانير الوجوه ملاح

ومما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدي يصف غلاما له :

ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على أن يزيد مجتهد

وصيرفي التقريض وزّان دينا ر المعاني الدقاق منتقد (١)

ومما يتصل بالالفاظ المركبة : الفنون التي سماها البلاغيون « المحسنات اللفظية» وهي عظيمة الاهمية في دراسة الالفاظ ، وينبغي ان نوضح في بحث الفصاحة لان لها تأثيراً في الكلام . واذا تابع القزويني صاحب « مفتاح العلوم » فتحدث عنها في البديع فان دراستها هنا اجدى واكثر نفعا . وقد سبق إلى ذلك علماء البلاغة كابن الاثير الذي قسم الصناعة اللفظية قسمين :

الاول : في اللفظة المفردة .

الثاني : في الالفاظ المركبة ، وهي السجع ، والتصريع ، والتجنيس ، والترصيع والتزام ما لايلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ ، وتكرار الحروف .

هذه دراسة البلاغيين للفصاحة أما النقاد فقد تحدثوا عن دقة الالفاظ وايحائها وسهولتها وجزالتها والفتها وغرابتها وغير ذلك مما نجده في كتب البلاغة والنقد، وهو حديث فيه طرافة وجدة يتسم ماذكره البلاغيون عن الفصاحة ولوصافها .

---

(١) الايضاح ص ٨، ودلائل الاعجاز ص ٨٢ .